الفصل الرابع

وحش الحكومة

في طفولتي كنت أؤمن أن الحكومة أمر جيد. إنها تحمينا مثل ماما وبابا. استغرقت الكثير من الوقت لأعرف أن الحكومة تبالغ في حمايتنا ومراقبتنا لدرجة تهديم حريتنا الشخصية.

لقد ضللنا الطريق الذي رسمه توماس جيفرسون في خطبته عندما نصب رئيساً وصف «الحكومة الحكيمة والحريصة» بأنها حكومة «تمنع الإنسان من أذية أخيه الإنسان، ولكن تترك الناس أحراراً في السعي وراء ما تشتهي أنفسهم».

نحن نحتاج إلى حكومة تمنعنا من أذية بعضنا البعض وتحمينا من الهجمات الخارجية وتحمي البيئة وقلة من الأشياء الأخرى. الحد من مهام الحكومة أمر رائع. لكن حكومتنا تحولت من رؤية ذلك الرئيس العبقري إلى وحش يحافظ على نفسه عن طريق زيادة الضرائب والتطفل الدائم والتدخل المستمر في شؤوننا الخاصة.

يدعي السياسيون أن قوانينهم وبرامجهم ستحل المشكلات. تسارع وسائل الإعلام إلى تغطية المشكلات وشرح كيف تحلها القوانين الجدية، إنها تغطي النتائج الجيدة المرئية لكنها لا تغطي النتائج الخفية غير المخطط لها لتلك القوانين. هناك غالباً الكثير من النتائج الخفية التي تصبح فيما بعد حجة لتشريع المزيد من القوانين.

شرح ذلك رونالد كواس Ronald Coase الحائز على جائزة نوبل بالمقطع التالي: «لو تأسس برنامج فيدرالي لإعطاء المساعدات المالية لفرق الكشافة الصبيان كي يساعدوا النساء العجائز في قطع الطريق، فاعلم تماماً أن تلك المساعدة المالية لن تذهب كلها إلى الكشافة. وأن من يُساعد لن يكون من النساء أو من العجائز وأن قسماً من ذلك البرنامج سيستثمر لمنع النساء العجائز من قطع الطريق وأن الكثير من النساء العجائز سيمتن من جراء قطع الطريق في المنطقة غير المراقبة حيث تستطعن

العبور دون أن يمنعهن أحد». وبعد ذلك ستسن الحكومة قانوناً جديداً يمنع النساء العجائز من الحركة.

لهذا فإن الحكومة أصبحت هي نفسها خطراً مهدداً.

يجب أن نبقي الحكومة ضئيلة ونحصرها في نطاق ضيق ونراقبها باستمرار.

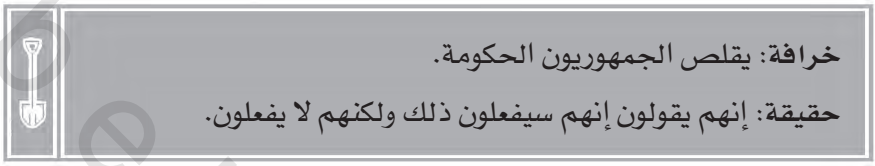

قبل عدة سنوات أجريت مقابلة مع عالم الاقتصاد والتر ويليامز لبرنامج تلفازي في قناة ABC يدعى «Greed» (الجشع) ولقد دهشت عندما قال ويليامز «اللص إنسان أخلاقي أكثر من عضو في الكونغرس؛ عندما يسرق اللص نقودك فإنه لا يطالبك بأن تشكره».

اعتقدت أن كلامه ذلك كان مبالغة سخيفة ولكن عندما رأيت ما يصرفه الكونغرس علمت أن د. ويليامز كان محقاً وأنا الذي كنت ساذجاً. تصادر الحكومة قسماً كبيراً من أموالنا ـ قسماً أكبر مما نظن. يصرف الكونغرس معظم تلك الأموال في الدعاية لنفسه ثم يطلب منا أن نشكره.

عندما كان الديمقراطيون يمسكون بزمام السلطة واجهت السيناتور روبرت بيرد حول موضوع انفاق أموالنا على مشاريع مثل «بناء طريق Highway روبرت برد المحترم» في فيرجينيا. وكان جوابه متعجرفاً مثله «بودي أن أعتقد أن وسائل الإعلام الوطنية ستترفع عن قيامها بدور الشطّار والنقاد الهزيلين الذين يهذرون تماماً كما تفعل أنت الآن».

أهذر؟. سألته.

فشرح قائلاً: «أنت تزري بموضوع جدي».

أصررت على موقفي قائلاً: «أليست هناك حدود؟ ألا تخجلون مما جنيتم؟».

حدق في بيرد بصمت ثم سأل بغضب «أتخجل عندما تصنع خيراً للبلاد؟ أهذا يخجلك؟».

وعد الجمهوريون تغيير تلك العادات. وأثناء حملتهم وعدوا بتقليص الحكومة. بل إنهم استخدموا نفس هذه الكلمات في إحدى حلقات برنامجي «جون ستوسل يذهب إلى واشنطون» قمت ببث كليب يظهر رونالد ريغان وجورج بوش الأب يقولون بصوت واحدكما لو كانوا يغنون: «الحكومة أكبر مما ينبغي وتصرف أكثر مما يلزم».

ذعر الديمقراطيون وقالوا: «لا تصوتوا لهم إنهم سيلغون برامجكم المفضلة» لكن ما كان عليهم أن يقلقوا. نجح الجمهوريون في الانتخابات إلا أن هدف الديمقراطيين في توسيع الحكومة تحقق. كانوا هم الفائزين الحقيقيين.

على الأقل أبطأ الرئيس ريغان نمو الحكومة. استخدم الفيتو ضد ثمانية وسبعين طلباً لإنفاق نقود الكونغرس. لكن الرئيس جورج W بوش لم يستخدم الفيتو أبداً وصرف المال أسرع مما يفعل الديمقراطيون. يقول الجمهوريون أحياناً إن الإنفاق ازداد بسبب الحرب ولكن حتى لو لم نعتبر المال المنفق على حماية الأرض، ازداد انفاق الأموال بنسبة 40 بالمئة منذ أن تولى بوش الرئاسة. زاد الانفاق في وزارة العمال 29 بالمئة وفي وزارة الطاقة 33 بالمئة ووزارة الزراعة 41 بالمئة وفي وزارة التعليم 135 بالمئة. بعض هذه الهيئات يجب أن تزول من الوجود. في الثمانينيات صرح الجمهوريون أنهم يريدون أن يلغوا وزارة التعليم. كان يجب عليهم أن يقوموا بذلك إذ ازدادت ميزانية تلك الهيئة 169 بالمئة منذ عام 1995.

حتى الجمهوريون الذين كانوا ينتقدون الإنفاق المفرط للديمقراطيين أصبحوا يفعلون الشيء نفسه منذ توليهم السلطة. عندما كان الديمقراطيون يحكمون الكونغرس قال لهم عضو الكونغرس من آلاسكا دون يونغ «لا أحد منكم يتنازل عن 1 بالمئة من حصتكم في الميزانية أنتم لم تشغلوا مناصبكم لمدة طويلة لكن معظمكم يصر على هذا الموقف».

كان تعليقه جيداً لكن الآن وعندما وضع حزبه أيديه على نقودنا يبدو أنه الحيوان المسرف الأكبر. لقد ترأس لجنة المواصلات وجعل زملاءه من ممثلي الكونغرس

يصوتون كي يحصل على 450 مليون دولار ليبني جسرين في أنحاء قليلة السكان من آلاسكا.

واحد من هذين الجسرين السخيفين يثير السخط لأنه يصل بين منطقة كتيشيكان Ketchikan في آلاسكا وبين جزيرة غير مأهولة تقريباً. لكن ذلك الجسر كان ضخماً للغاية ـ لقد استبدلت الرحلة بالعبارة بجسر أعلى من جسر بروكلين وبطول جسر الغولدن غيت. حتى أن سكان Ketchikan سخروا من كبره. قال لنا أحدهم «على المدى القريب لا أرى ضرورة لهذا الجسر وعلى المدى البعيد لا أرى أيضاً ضرورة لهذا الجسر».

قال يونغ عضو الكونغرس إن عمله ببناء الجسرين مشروع إذ إنه «خلق فرص عمل». أخرجوا الرفش يقول السياسيون دائماً إنهم «يخلقون فرص عمل» وذلك لتبرير مشاريعهم إنه خداع سياسي. نعم ستخلق مئات الملايين من الدولارات بعض وظائف البناء المؤقتة فتستفيد منطقة كيتشيكان. هذه هي الفائدة المرئية لكن ملايين الدولارات هذه كانت ستخلق فرص عمل أكثر لو أنها لم تقتطع من دافعي الضرائب أساساً. كانت ستذهب إلى مخازن بيع الأحذية وأماكن لعب البولينغ ومشاريع الأبحاث الطبية وآلاف الأماكن الأخرى التي يحبذ الناس صرف نقودهم عليها أكثر من صرفها على جسرين من مناطق غير مأهولة. إذا كانت مشاريع الحكومة «تخلق» وظائف للناس فحري بالكونغرس أن يدفع للناس كي يحفروا حفراً ثم يردموها. ربما سيقترح يونغ عضو الكونغرس ذلك ـ ولكن حفراً في ولايته حصراً.

في عام 2005 بعد أن دمر إعصار كاترينا ساحل الغولف حاول سيناتور أوكلاهوما توم كوبورن أن يحول اتجاه مشروع جسري آلاسكا فيستعمل النقود لإعادة بناء الجسر I-10 فوق بحيرة بونت ـ تشارترين Pontchartrain في لويزيانا. ذلك الجسر الذي دمره الإعصار تماماً.

«كلا» صرخ زملاؤه. ووقف سيناتور آلاسكا آخر وهو تيدستيفن في المجلس وقال إنهم إذا اقتطعوا المال من مشروع آلاسكا فإنه سيستقيل «وسأخرج محمولاً على نقالة المرضى».

حسناً أرجوك أن تفعل يا سيناتور ستيفنر وسأساعد في حمل النقالة بنفسي.

للأسف هناك قاعدة خفية في الكونغرس تقول: «لا تهدد بأخذ مشروع عضو كونغرس آخر» رفض المجلس اقتراح كوبورن بنسبة أصوات 82 إلى 15.

قالت السيناتورة الأخرى من آلاسكا ليزا موركوفسكي إن عدم إنفاق المال على الجسر في ولايتها أمر «عدائي». عندما باشرت عملها كسيناتورة سألتها إن كان الجمهوريون يؤمنون بحكومة أصغر فأجابت بالإيجاب لقد كانت جديدة في هذه اللعبة عندما أصبح والدها محافظاً عيّنها كي تشغل كرسيه في مجلس السناتورات، لم تكن تخفي الحقائق إذ إنها قالت لي بعد ذلك «نريد حكومة أصغر ولكن أريد بالتأكيد بناء طرقات أكثر وتشييّد أشياء أكثر مهما كانت هذه الأشياء».

اعتقدت أن آلاسكا تقيم مشاريع فارغة أكثر من أية ولاية قالت لي «أواه يجب أن تأتي وتزورنا ستدرك أنها ليست مشاريع فارغة بل كلها ضرورية. يشاهد الناس آلاسكا فيقولون عجباً لم تُدر الأموال عليهم هكذا ولكن ما زال لدينا مجتمعات لا توجد فيها مجاري أو مياه هناك أمور أساسية في الحياة يجب الحصول عليها».

لكن لم يدفع أولادي ثمن ذلك. إذا أراد الناس العيش في المناطق النائية من آلاسكا فعليهم أن يدفعوا هم ثمن «أشيائهم» عن طريق ضرائب الولاية أو الضرائب المحلية أو خلق تجارات خاصة وهذا هو الحل الأفضل.

لم يجب على الأمريكيين كلهم أن يدفعوا نقودهم لتحري أنابيب المجاري في الأرض الواسعة المجمدة لولاية آلاسكا؟ الآن آلاسكا لا تملك النقود؟

لا تصدق ذلك. تملك آلاسكا حلاً واسعاً يأتيها من عائدات النفط وليس فيها ضرائب على الرواتب أو على المبيعات. بل إنها تكتب لكل مواطن فيها شيكاً كل سنة يأتي مما يدعى بمخزون آلاسكا الدائم Alaska Permanent Fund.

إن الهيئة التي تمثل آلاسكا في الكونغرس ماهرة وذات إرادة صلبة. عندما اشتد اهتمام وسائل الإعلام بالانتقادات التي وجهت إلى الجسرين قامت تلك الهيئة «بإلغاء» موضوع الجسرين من تقرير مؤتمر اللجنة. لم يُذكر الجسران في الفاتورة النهائية

عمداً ـ لكن ميزانية 452 مليون دولار المخصصة «لمشاريع آلاسكا» أبقيت كما هي! نحتاج هنا إلى رفش ذهبي لنشيد بهذه الجرأة الوقحة. ليس ستيفن وموركوفسكي ودون يونغ أشخاصاً نادرين. يتحدث الجمهوريون دائماً عن تحديد الحكومة وتقليص مشاريعها ولكن كلما طال بقاؤهم في الحكومة اشتد تبذيرهم للأموال.

خرافة: صوت لي، فأنا سأوقف الهدر.
حقيقة: لن يحدث ذلك على هذا الكوكب.

يتحدث السياسيون عن توقيف هدر الأموال لكنهم لا يعقلون شيئاً. إذ ليس بإمكانهم فعل أي شيء. لا تستطيع الحكومة أن تتصرف بفعالية فمثلاً تمنع قوانين الخدمة المدينة طرد العمال السيئين ومكافأة العمال الجيدين. وحتى لو ألغيت هذه القوانين المخربة فإن عمل الحكومة يفتقر إلى التركيز والدافع الذي تجلبه المنافسة للربح والصراع من أجل البقاء. إن استطعت أن تذكر لي شيئاً واحداً تستطيع الحكومة فعله أفضل من القطاع الخاص سأرسل لك شيكاً بألف دولار. ذلك ما عدا تبديد الأموال ووضع شريط أحمر إلخ... وحتى لو قرر القطاع الخاص أن يبدد أموالك فإنه سيفعل ذلك بصورة أسرع من الحكومة.

في كل سنة تطرد الحكومة الفيدرالية عاملاً واحداً من بين ثلاثة آلاف عامل بسبب الأداء الرديء وهذه نسبة قليلة لحد مذهل.

تتخلص الشركات الخاصة من آلاف الوظائف كل سنة وهذا ما يدعى «التدمير المبدع» ويجعلها تبقي على أرباحها. جاك ويليش Jack Welch مدير معبود لأنه حول شركة GE إلى شركة تبلغ قيمتها 300 بليون دولار وهو يقول إنه إذا أرادت مؤسسة ما أن تبقي على حيويتها يجدر بها أن تتخلص من 10 بالمئة من عامليها كل سنة: يقول «قل للعمال العشرة بالمئة الأضعف أمامكم سنة فقط للعمل عندي فابدؤوا من الآن في البحث عن عمل فيتركوا!».

يبدو هذا الفعل قسوة لكنه ليس كذلك. فرحيل العشرة بالمئة يعطي الفرصة لعمال آخرين. والعمال المسرحون يجدون غالباً وظائف تلائم مواهبهم أكثر من وظائفهم السابقة لقد كان هؤلاء العشرة بالمئة تعساء في وظائفهم القديمة بقوا فيها لأن التغيير صعب والبحث عن وظيفة جديدة أمر مخيف. لكن بعد التسريح يسر الكثير منهم. ولقد سمعت مراراً هذه الجملة «كان تسريحي من عملي أفضل شيء حصل لي في حياتي».

عندما اشترت شركة كابيتال سيتيز Capital Cities قناة الـ ABC كنت قلقاً من سمعة شركة كابيتال سيتيز في تقليل النفقات. وكان قلقي في محله إذ أُمر رؤسائي بطرد 1.800 من موظفي الـ ABC ولقد كرهت ذلك بشدة وسألت بغضب «كيف سيمكننا المحافظة على نوعية برنامج 20/20 إذا لم يكن لدينا خبراء إضاءة أو إذا قللنا من وقت التصحيح؟».

أهملت شكاويّ وفوجئت بأننا استطعنا أن نقوم بنفس العمل ولكن بعدد أقل من الأشخاص. ثم اشترت ديزني شركة كاب سيتيز Cap Cities وكان هناك المزيد من التسريحات لكننا تدبرنا أمرنا. ولم نكن سنفعل ذلك لولا ذلك الضغط.

لا تواجه الهيئات الحكومية ذلك النوع من الضغط. من وقت إلى آخر يقترح المدير إجراء تقليص بسيط لحجم الشركة فيواجه بغضب عارم. تقليص؟ «لا!» يصرخ المعنيون وخاصة البيروقراطيين الذين يتلقون الربح بدون منافسة تفرض بقوة الخيارات الصعبة ينهار المديرون الحكوميون. فالحكومة إذاً تنمو باستمرار. قال توماس جيفرسون «التطور الطبيعي للأشياء» يقضي بأن تنمو الحكومة و «تبزغ الحرية» حتى عندما تعطي مشاريع الحكومة نتائج شنيعة ويمر مخططها ـ حتى عندما تؤذي الناس أكثر مما تساعدهم فإن الحكومة لا تستطيع التوقف.

خرافة: الإعانة المالية الحكومية للمزارع تضمن لنا وافراً من الإمدادات الغذائية.

حقيقة: سيكون الطعام وافراً حتى دون إمدادات مالية حكومية.

obeikandl.com

يعطي الكونغرس إلى المزارع بلايين من النقود التي تدفعها أنت للضرائب. عنما شاهدت الرئيس بوش يغني مهللاً لضمان المزارع والاستثمار الريفي عجبت حقاً كيف التف حوله العشرات من أعضاء الكونغرس كي يظهروا في الصور وهم يصفقون.

الإعانة المالية الحكومية للمزارع موضوع محبب للسياسيين لأن المزارع الكبيرة لها أهميتها في التصويت ومعظم مزارع الولايات ليس لديها رؤية سياسية محددة دائماً تتأرجح باستمرار. بالإضافة إلى ذلك المزارع ذات طبيعة شاعرية لا أحد يريد أن يخسّر مزرعة العائلة. ويعتقد الناس أنه دون إعالة مالية حكومية للمزارع لن تحصل على إمداد معتبر من الطعام.

ولكن يا لهذه الخرافة الجنونية.

مئات من «المزارعين» الذين يحصلون على نقودك التي تدفعها للضرائب يعيشون في مدينة نيويورك. بضعة منهم فقط وافقوا على إجراء مقابلة معنا مثل مايك سونينفيلدت Mike Sonnenfeldt.

يعمل سونينفيلدت بتجارة العقارات. يعيش على بعد بضعة بنايات مني في شقة أنيقة وفي مبنى يعيش فيه أيضاً ستيفن سبيلبرغ وستيف مارتين. يجمع سونينفيلدت الإعانة المالية الحكومية لزراعة القطن.

ستوسل: لم تجمع الإعانة المالية الحكومية للقطن؟

مايك سونينفيلدت: لا أعلم أبداً.

ستوسل: كيف لك ألا تعلم؟

مايك سونينفيلدت: لأنني كنت قد اشتريت قطعة أرض ثم تم استبدالها بقطعة أرض أخرى وأنا لا أعلم بالضبط لماذا أحصل على تلك المعونة.

هكذا تجري الأمور غالباً. عندما تبدأ الحكومة بالتوزيع فإنها لا تتوقف إلا نادراً ولا يهم مدى السخف الذي تصل إليه.

حصل تيدتورنر على 491.179$ من الإعانة المالية للمزارع وحصل دافيد روكفلر على 524.167$ وانرون كين لي على 22.486$.

obeikandl.com

لنكن عادلين ونقول إن معظم الإعانة المالية الحكومية للمزارع تذهب إلى المزارع الحقيقية التي هي في الأغلب تجارات زراعية وليست «مزرعة العائلة» التي يعشقها السياسيون.

لقد أجريت مقابلة مع مالكي مزرعة من نمط مزرعة العائلة وهما فريد ولاري ستاره Starrh ويعملان في زراعة القطن في كاليفورنيا. خلال سبع سنوات جمعا 3.5 مليون دولار من نقودنا.

ولقد استاءا عندما لقبتهم «ملكات الإعالة الحكومية»

فريد ستاراه: أنا أستاء من تلك الملاحظة.

كان فريد ولاري يحباني حتى تلك اللحظة. كانا يشاهدان برنامج 20/20 ويقولان إنهما من المعجبين ـ أظن أن هذا كان السبب في قبولهما إجراء المقابلة. قالا إنهما يؤمنان بوجوب تقليص الحكومة ولكنهما يؤمنان أيضاً أنهما يستحقان الحصول على أموالك، لأن لزراعة القطن «احتياجات خاصة» يصعب تصور عائلة ستاراه من المحتاجين لأن لديهم مزارع شاسعة تمتد مسافة 12.000 آكر من شافتر كاليفورنيا. لكنهما يقولان إن التكاليف ازدادت أكثر من الأسعار. الإعانة المالية الحكومية تشكل قسماً بسيطاً من دخلهما لكنهما يقولان إنها ضرورية ولا يمكن دونها جني الأرباح.

ورداً على ذلك أقول «وماذا في ذلك؟» عدم جني الأرباح لا يعني أن يسمح لهما بأخذ النقود منا. التجارات التي لا تجني الأرباح تفلس وتغلق ببساطة. مثل ول ورث Woolworth و TWA وكذلك يغلق 20.000 مطعماً في كل سنة. إن الحرية في الفشل هي التي تساعد أمريكا على البقاء مزدهرة إذ تعطي الأشخاص الحرية للابتكار والإنتاج الجديد. يلاحظ كرسي ايدوارد Edwards في كتابه تقليص الحكومة الفيدرالية Down sizing the federal Government أن «نحو عشرة بالمئة من الشركات الأمريكية تفلس كل سنة وذلك بسبب سوء الإدارة، المنتجات الفاسدة وأسباب أخرى.. كما لاحظ أن «بيانات أخرى تشير إلى أن أكثر من نصف الشركات التجارية الجديدة تختفي خلال أربع سنوات من بدء تأسيسها..».

obeikandi.com

لكن هذا لا يسمح بحدوثه في المزارع التي تتلقى الإعانة المالية الحكومية عندما لا يستطيع فريد ولاري جني الربح تدفع أنت لإعالتهم.

فريد ستاراه: أنا لا أعدها إعالة أبداً وأرفض رفضاً باتاً أن أقبل ذلك.

ستوسل: لكنها كذلك. إنها إعالة حكومية. الجكومة تعطي...

فريد ستاراه: أنا أعدها وسيلة للحفاظ على زراعة حية في هذا البلد لكن هذه هي الخرافة. يعتقد موظفو الحكومة الجهلاء في أمور الاقتصاد أن لا شيء يحدث إلا إذا تدخلت الحكومة لتأمينه. لكن الإعانة المالية الحكومية للمزارع لا تحافظ على الزراعة حية. معظم المحاصيل لا تنتفع من الإعانة فالبطاطا واللوز والدراق والهليون والجزر والخس والبصل والطماطم وخمسون نوع آخر من المحاصيل لا تحصل على الإعانة. لا يوجد شح في أي من تلك الأصناف من الطعام. ينجح المزارعون في تنمية تلك المحاصيل دون أكل نقود دافعي الضرائب.

في عام 1984 ألغت نيوزيلندا الإعانة المالية للمزارع فجأة. لاقى ذلك التغيير مقاومة شرسة لكن إدواردز Edwards صرح بأن «إنتاجية المزارع وربحها وقوتها بلغت حداً شاهقاً منذ الإصلاحات» وقالت المزارع الفيدرالية في نيوزيلندا عن هذه التجربة بأنها «أبطلت تماماً خرافة أن قطاع المزارع لن يزدهر دون الإعانة الحكومية».

ولكن مازال فريد ولاري يصرّان على أن الزراعة «لن تحيا» دون الإعانة المالية الحكومية.

فريد ستاراه: لا تريد أن تقع الزراعة على أذنها.

ستوسل: لا أعتقد أن الزراعة ستقع على أذنها. لا يمكن لأي كائن أن يقع على أذنه لا يحصل مزارعو الدراق ومزارعو الخوخ على تلك الإعالة لكنهم يربحون فلم تحتاجها أنت؟

لاري ستاراه: إذا لم أستطع زراعة الستة آلاف آكر من القطن لأن الإعالة المالية الحكومية زالت ماذا أفعل بتلك الأراضي أأهملها؟

ستوسل: لا أعرف. إلى أين أذهب إذا فشل برنامجي؟ هذه سنة الحياة.

فريد ستاراه: حسناً نحن نختلف معك 110 بالمئة. ونحن على حق وأنت مخطئ.

قال لي فريد ولاري إنه من دون بلايين الدولارات للإعالة ستختفي زراعة القطن من أمريكا.

فريد ستاراه: ستذهب هذه الزراعة إلى الصين أو إلى الهند أو إلى الباكستان.
ستوسل: هذا جيد! [فاجأهما جوابي] لنحصل على القطن الرخيص من تلك الأماكن ونتوقف عن رمي ملايين الدولارات إليكما!
لاري ستاراه: هل هذا ما تريد؟
ستوسل: نعم! إن كنت لا تجني ربحاً فهذا يعني أنك لا تستحق أن تستمر في عملك.
فريد ستاراه: حسناً أنا أختلف معك يا جون. والمشرعون يقفون إلى جانبنا في هذا الموضوع لذلك سننجح وأنت ستخسر.

إنه محق، إنهم سيربحون وأنا وأنت سندفع ثمن ذلك.

في عام 1900 كانت أمريكا تملك ستة مليون مزرعة ووظفت وزارة الزراعة 3.000 شخص. اليوم يوجد فقط مليونا مزرعة لكن الوزارة توظف 100.000 شخص. في هذا المعدل سيبلغ قريباً عدد الموظفين أكثر من عدد المزارع.

الإعانة الحكومية تشبه المعالجة بالهيروئين. إذ إنها تمنح شعوراً طيباً ولكن تسبب المزيد من الإعانة المالية الحكومية. ترفع الإعانة المالية ثمن القطن. وهذا يجعل مصانع الملابس تشتري قطناً أجنبياً ـ ولكن بما أن ذلك يؤذي المزارعين الأمريكيين فإن الحكومة تحد من الواردات. وهذا يسيء جداً إلى المزارعين الفقراء في أنحاء العالم لأنهم لا يستطيعون بيع قطنهم لأمريكا. لتعويض ذلك يصرف الكونغرس بلايين أكثر على المساعدات الخارجية وبلايين أخرى للإعالة المالية للمصانع الأمريكية حتى تستطيع أن تشتري القطن الأمريكي الغالي. سياسة سيئة تلحق بالأخرى.

في عام 1954 أصرّ أعضاء الكونغرس أن الأهمية البالغة للأمن الوطني تقضي بأن تملك أمريكة صوفاً كافياً لصنع اللباس الموحد للجنود. واليوم لا تصنع معظم الألبسة الموحدة من الصوف لكن هذا لا يهم، تعطي وزارة الزراعة مئات الملايين من الدولارات لأصحاب مزارع الخراف والماعز. وصلت تلك الإعانة المالية إلى «مزارعين»

obeikandl.com

من أمثال زميلي في قناة abc سام دونالدسون Donaldson لأنه وزوجته كانا يربيان الخراف والماعز في مزرعتهما في نيو مكسيكو. يدعو دونالدسون هذه الدفعات «فوضى رهيبة» (لقد باع أسهمه ولا يحصل اليوم على تلك الإعانة المالية). ويشبهها بالحسم على رهن البيت ويقول: «طالما أن القانون في الكتب فمن المناسب استغلاله». أنا لا أجادل في هذا المنطق: لقد حظيت مرة بأموال حكومية من أجل التأمين ضد الفيضانات بسبب خراب منزل على الشاطئ. إذا كان من المناسب تسمية النساء اللاتي يحببن الإعالة الحكومية «ملكات الإعالة الحكومية» فإنه من المناسب إطلاق هذا اللقب على عائلة ستاراه وسام دونالدسون وأنا. لكن الستاراه وجدا أن هذا اللقب مهني «غيره إلى ملوك الإعالة لأن كلمة ملكات تثير الارتياب في كاليفورنيا» قال لي لاري ستاراه «بل ادعني الإسفنج بوب»[1].

إنه إسفنجة بلا ريب إذ يمتص نحو 3.5 مليون دولاراً من نقودنا. لنخرج الرفش وننقب.

في عام 2005 أصبت بصدمة عنيفة عندما أعلن الرئيس بوش إلى الـ UN أن «الولايات المتحدة جاهزة لتلغي كل التعرفات والإعانات المالية الحكومية وكل الحواجز الأخرى التي تعيق الانتشار الحر للبضائع والخدمات مثلما تفعل البلاد الأخرى».

لكنني لا أظن أبداً أن ذلك سيحدث في القريب العاجل.

خرافة: نحن نحتاج أن تعطينا الحكومة قناة PBS
حقيقة: لا لانحتاج ذلك.

أنا أستمتع بمشاهدة قناة PBS ولكن هذه القناة. مثلها مثل الدعم للمزارع، إعالة حكومية للأغنياء. وهي تشتهر ببثها برامج محببة عند الأطفال مثل شارع سمسم (افتح ياسمسم) لكنها تبث برامجها في الواقع إلى الأغنياء. بالمقارنة مع الأمريكيين الآخرين يشكل مشاهدو الـ PBS[2] 44 بالمئة ممن يزيد دخلهم عن 150.000$ بالسنة.

(1) بطل أفلام كرتون.
(2) PBS القناة الحكومية.

obeikandl.com

ليس من العدل أن تجبركم الحكومة على شراء تلك القناة لي. إذا أردت مشاهدة الأوبرا يجدر بي أن أدفع ثمن ذلك بنفسي. لم عليكم أن تدفعوا الضرائب كي تُضخ أوبرا La Bohéme على شاشة التلفاز في غرفة المعيشة في بيتي؟ صعب فهم هذا الأمر.

في عام 1967 كان للأمريكيين ثلاث قنوات تلفازية فقط، أما اليوم فهناك المئات من القنوات لو كان هناك طلب على الأوبرا أو على مسلسلات الـ BBC لوفرت تلك القنوات.

ذلك أن قناة الـ PBS شهيرة فقط بسبب برامج مثل شارع سمسم. ولا يوجد تفسير لشهرة تلك البرامج. هذا يعني أنه كان على تلك القناة اختراع وسائل أخرى للحصول على المال. واليوم يعطي الناس أموالاً كثيرة إلى قناة PBS حتى أن الحكومة لا تضطر أن تدفع سوى 15 بالمئة. يلاحظ دافيد بواز David Boaz مؤلف كتاب Libertarianism: A Primer أن «جميع الشركات التجارية والأعمال التي تأتيها عائدات بنسبة 15 بالمئة فقط تخسر ولكن إذا خسرت قناة NPR[1] وقناة PBS الدعم الحكومي فإنهما لن تزولا».

كلما يقترح أحد الأشخاص تقليص ميزانية قناة PBS يقول الناس «إنهم يحاولون أن يقتلوا برنامج شارع سمسم». لكن برنامج شارع سمسم هو تجارة رائجة وسيكون بوسعه الاستمرار في أية بيئة. لا تحتاج برامج الأطفال إلى إعانة حكومية من أموال الضرائب. يوضح ذلك جاكوب سولوم Jacob Sullum من مجلة Reason «قناة نوجين Noggin، وهي قناة تخلو من الدعايات أكثر من قناة PBS. تعرض اثنتي عشرة ساعة من برامج الأطفال (وتشمل نسختين مختلفتين من شارع سمسم) كل يوم. وبرامج الأطفال التي يوافق عليها الآباء تعرض أيضاً في قناة Nuckelodeon وقناة ديزني و ABC Family».

يقول بعض الأشخاص الذين لم يشاهدوا في حياتهم برامج 20/20 و60 دقيقة إنه ليست هناك صحافة قوية في التلفاز إلا بدعم من الحكومة، فقط الـ PBS يمكنها أن

(1) المذياع الحكومي في أمريكا.

obeikandi.com

تعرض أفلام وثائقية «صادقة» لأن الـ PBS لا تعتمد على دعم الشركات التجارية. قبل ثلاثين سنة ادعى رالف نادر أن تقارير المستهلكين لن تبث أبداً على القنوات التجارية وإنما ستبث فقط على القناة الحكومية لأن القنوات التجارية ستحمي أصحاب الإعلانات.

واليوم يبدو خطأ رالف نادر واضحاً (وهو غالباً ما يخطئ) والعكس هو الصحيح: لا تنشر الـ PBS تقارير المستهلكين ربما سبب ذلك أن البيروقراطيين الذين يديرونها لا يريدون الإساءة إلى أي شخص. وعلى عكس ذلك تبث القنوات التجارية العديد من تقارير المستهلكين لقد انتقدت أهم ممول لدى مديري ونتيجة لانتقاداتي اللاذعة الموجهة لمن يدفعون لنا ويمولوننا نلت ترقية.

لماذا لأن المشاهدين يريدون أخباراً جريئة ـ وحتى أخباراً من أصحاب الإعلان الكبار. القنوات التجارية توفر ذلك إذ حتى لو قاطعها بعض الممولين يعوض عن الخسارة بالأموال المتدفقة من ممولين آخرين أرادوا إنفاق الأموال للوصول إلى المشاهدين الذين تجذبهم تقارير المستهلكين الحسنة. تخدم السوق الحرة الزبائن وفي عالم التلفاز الزبائن هم المشاهدون.

وخلافاً لذلك تبث الـ PBS برامجها بآلية بيروقراطية. وهذه فكرة سيئة. نحن نحتاج إلى الفصل بين الأخبار والحكومة. يكتب بواز قائلاً: «لا نريد أن تنشر الحكومة الفيدرالية صحيفة وطنية للأخبار فلم نريد قناة تلفاز حكومية وقناة مذياع حكومية؟ أهم ما يجب فصله عن الحكومة والسياسة هو الأخبار وبرامج الشؤون العامة التي يشاهدها كل الأمريكيين. عندما تقدم الحكومة الأخبار لنا ـ بطل تحيز وتلفيق ـ فإنها تغش في ميزان الديمقراطية. آن الوقت لإيقاف ذلك».

لكن ذلك لن يتوقف. عندما تبدأ الحكومة لاشيء يوقفها.

خرافة: تساعد الحكومة المحتاجين.
حقيقة: تؤذي الحكومة المحتاجين ببعثرتها النقود العامة في كل مكان.

بعد هجمات 11/9 سنت الحكومة قانوناً متعاطفاً يدعى Supplementel terrorist Relief Act عمل إسعاف لاحقات العمل الإرهابي وقضى ذلك القانون بإعطاء قروض مخفضة الفائدة إلى التجارات الصغيرة التي تأذت من الهجمات وذلك لمساعدتها في عملية الترميم. كان من المفترض أن تساعد القروض الفنادق والمخازن الصغيرة والخدمات التجارية في الناحية المتضررة من مانهاتن. ولكن كالمعتاد بعثرت الحكومة نقودكم في كل مكان. فذهبت القروض إلى محلات دانكن روناتس Dunkin` Donuts في كونيتيكت البنسيلفينيا، جورجيا، فيرمونت وأوهايو. دافع مدير دانكن دوناتس في فيرمونت ويدعى توني سيلفا عن تلك القروض قائلاً إن 11/9 أثرت في تجارته «بدلاً من أن يشتري الأشخاص قهوة كبيرة وبضعة معجنات دوناتس أصبحوا يشترون قهوة صغيرة ودونات واحدة».

كان من المفترض أن يوفر قانون الفعل الوطني The Patriot Act الإعانة الحكومية إلى الولايات لتجهز موظفي الإطفاء والشرطة والـ EMS الذين يعملون في الجبهة الأولى لدرء الهجمات الإرهابية. لكن يبدو أن أعضاء الكونغرس الذين كتبوا القانون كانوا يؤمنون أن الشعور الوطني يبدأ في البيت قُسّمت حصص الأموال بصورة معقدة بحيث تحصل كل ولاية على نفس المقدار مهما كان حجمها أو موقعها ولم يؤخذ بالحسبان عامل الخطورة.

وكانت إحدى النتائج أن الشرطة والإطفاء في كاسبير وإيومينغ (عدد سكانها 49.644) أنشأت نظاماً حديثاً متطوراً للاتصالات بحيث يتكلمون مع بعضهم ومع مشافيهم. أما مدينة نيويورك (عدد سكانها 8.000.000) فما زالت تنتظر مثل ذلك النظام. حصلت بلدة كولشيستر في فيرمونت على عربة انقاذ بثمن 58.000$ تستطيع أن تشق طريقها عبر الإسمنت للبحث عن الضحايا في الأبنية المتهدمة. يبلغ عدد السكان في لولشيستر 18.000 ولا توجد فيها أبنية عالية.

وهناك أفظع في ذلك. يطالب التأمين الصحي الحكومي الولايات بدفع نقود مقابل عملية الانتصاب عند الرجال. أنا أدعم فكرة حياة جنسية صحية للرجال ولكن لم تدفع الحكومة إعانة مالية لذلك؟

obeikandl.com

لا تستطيع حكومتنا المنفوخة التوقف عن تقيء النقود. لعدة سنوات أنفقت المساعدات الطبية ملايين من الدولارات على الفياغرا وعقاقير أخرى لمعالجة ضعف الانتصاب. طالبت حكومة كلنتون الولايات بالدفع لأن القاون يقضي أن تدفع المساعدات الطبية لكل دواء تقرّ الـ FDA أنه ضروري طبياً. وحافظ موظفو بوش على تلك السياسة لكنهم رفضوا إجراء مقابلة تلفازية حول هذا الموضوع.

أدمن الأطباء على التمويل الحكومي حتى أنهم يدافعون عن أية إعانة مالية حكومية مهما كانت جنونية ومحرجة «ضعف الانتصاب ليس أمراً ممتعاً، إنه مرض» قال د. ستيفن لامب الذي يظهر غالباً على قناة ABC «يجب علاجه يجب أن ندفع لعلاجه».

مازحته بقسوة قائلاً: «هل الجنس من شؤون الحكومة الآن؟ هل تفكر في الميزانية؟ وما يدفعه دافعو الضرائب؟».

قال: «نحن نهتم بالدفاع عنكم ولا نبالي بالتكلفة».

بالطبع لا. التأمين الطبي الحكومي يحث الأطباء على إعلان «حاجات» لا نهائية من الأدوية ـ وهم يعرفون أن الآخرين سيدفعون ثمنها.

في النتيجة ثار غض عارم وللأسف لم يحدث ذلك لأن الناس أدركوا فجأة أنه لا يجب على الحكومة أن تمول الفياغرا. بل عندما ظهرت الحاجة إلى النقود لإسعاف ضحايا اعصار كاترينا واكتشف الناس أن الحكومة كانت بدعمها للفياغرا كانت تعطي ذلك العقار للمتحرشين بالأطفال عندها سمح الكونغرس بإيقاف دفع أموال الرعاية الطبية والمساعدات الطبية لإحداث الانتصابات.

سمح الكونغرس بذلك لكن بعض الولايات مازالت تدفع. وملخص كل ذلك أنه يمكن إيقاف المشاريع الحكومية. كل ما يقتضيه ذلك هو كارثة إنسانية وإعانة مالية جنونية ومحرجة.

obeikandi.com

خرافة: أنتم تعلمون ما هي الضرائب التي تدفعونها.
حقيقة: ليست لديكم أية فكرة عن ذلك.

تتفوق الحكومة على كل النشالين في التسلل إلى جيوبكم وسرقة نقودكم حتى إنكم لا تلاحظون اختفاء نقودكم.

قسم كبير من الضرائب التي ندفعها كلنا هو قسم خفي. إسهام مدير العمل في نقود الضرائب التي تذهب إلى الضمان الاجتماعي أو الرعاية الصحية لا تشاهد على وصل شيك الراتب. لكن عبأها يُنقل إلى العمال بشكل حد أدنى من الراتب، أسعار خفية أو استثمار مخفض. سبع وثلاثون بالمئة من الضرائب الفيدرالية خفية. ونتيجة لذلك لا يدرك الناس حقيقة الكلفة (العالية) للحكومة وبناء على ذلك يطلبون خدمات حكومية أكثر.

بفضل معجزة التكنولوجية الحديثة والسوق التنافسية أصبحت المكالمات الهاتفية أرخص. تكلف مكالمة هاتفية بمدة ثلاث دقائق من ولاية إلى أخرى عشرين سنتاً وكانت تكلف فيما مضى دولارين. ولكن لماذا تكون فواتير الهاتف مرتفعة جداً؛ لأن الحكومة تأخذ أكثر. تفحص فاتورتك بدقة تجد: «أجرة الخدمة الدولية الفيدرالية»، «غرامة الولاية»، «ضريبة الرخصة المحلية»، «ضريبة استلام للولاية»، «غرامة هاتف الطوارئ 911»، «ضريبة رسم»، «أجرة الولاية».

هذه كلها ضرائب تسلل وتضاف إلى كلفة مكالماتك. عندما ذهبت لمقابلة شخص ما في مجال الهواتف الجوالة فوجئت أن المتحدث ياسم الهواتف الجوالة كان ستيف لارجانت كان عضواً بارزاً في الكونغرس والآن عليه أن يجمع نقوده من أشخاص مثلي. عندما سألته لماذا يجب علينا أن ندفع أكثر بكثير من الأجرة الشهرية للجوال وهي «39$ في الشهر» وهي الأجرة التي يدعّونها في إعلاناتهم قال لارجانت «إنها ليست غلطتنا معظم تلك الغرامات هي أجرة تفرضها الحكومة وتضيفها هي إلى فواتيركم وليست شركات الهواتف» إنه محق. إذا أراد سياسي جشع نيل المزيد من أموالكم

فبإمكانه أن يرفع ضرائب الدخل أو ضرائب العقارات لكنكم ستنتبهون إلى ذلك وتغضبون. ولعلكم ستصوتون ضده في الانتخابات كيف لهم إذاً أن يرفعوا الضرائب دون جلب الانتباه؟ يطلبون من الشركات أن تزيدها. تضيف ضرائب نبراسكا 25% على فاتورة الهاتف الخلوي للزبائن. وأضيفوا إلى ذلك الضرائب المحلية وضرائب الولاية والضرائب الفيدرالية وهذا يعني إضافة 8 إلى 34 بالمئة إلى فاتورة الهاتف الشهرية. يفعل السياسيون ذلك أيضاً في مجالات الفنادق والتاكسي وشركات تأجير السيارات أيضاً.

تقول شركة ترافيلوسيتي Travelocity إن استئجار سيارة في المطار يكلف أكثر بـ 26 بالمئة من استئجارها عن طريق الإنترنت وذلك بسبب الضرائب المتسللة. هذه خطة ذكية أن تجعل الناس يلومون الشركات مثل هيرتزو فرايزون عوضاً عن لومهم السياسيين العطشين للنقود.

كل ما يضع السياسيون يدهم عليه يصبح غالياً.

خرافة: «أسألك بتواضع أن تصوّت لي».
حقيقة: لا تواضع في ذلك أبداً.

في رواية ادوين أوكونر Edwin O`connor الشهيرة: صيحة الانتصار الأخيرة The Last hurrah يبطل مايور سكيفينفتون المحتال معارضة عائلة أرستقراطية عن طريق إغواء أحد أفرادها الصغار بالانضمام إلى الخدمة العامة. إذ يستهدف غرور ذلك الوريث ويغويه بمزايا الانضمام إلى الإطفائية: خوذة حمراء ليموزين لها صفارات انذار وأضواء لامعة وبطاقة اسم ذهبية براقة. تقع العائلة في الفخ وتتعاون معه سياسياً. يعلم سكيفينغتون Skeffington مدى تأثير إثارة الغرور لدى الأشخاص.

إنها أداة هامة كالمشاريع الحكومية المتألقة وتأخذ أهمية عظيمة عندما تحاك بيد أعضاء الكونغرس المهرة. الأداة الهامة التي يستخدمونها هي نشرة تدعى خطأ سجل الكونغرس Congrational record.

عندما ينتهي يوم أعضاء مجلس النواب ومجلس الشيوخ تبقى الأضواء منارة في مبنى قرب شارع نورث كابيتال.

إنه مكتب مطبعة الحكومة أو الـ GPO. وبينما تنام واشنطن، يدون الـ GPO التاريخ أو بالأحرى يطبع التاريخ منذ عام 1873 وفي كل ليلة يجتمع فيها الكونغرس يطبع GPO «سجلاً» بكل ما قيل. تسجل الآلات الكاتبة في مجلس الشيوخ ومجلس النواب كل كلمة تاريخية تقال ثم تشحن الأوراق إلى مكتب المطبعة. يظل مكتب المطبعة مفتوحاً طيلة الليل حتى يضمن أن يكون السجل الرسمي موجوداً على طاولة كل شخص يعمل في الكونغرس في الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي. ولكن عندما تقرأ سجل الكونغرس تجد أن هناك شيئاً غريباً في هذه العملية فالسجل هو في الواقع ليس سجلاً عما قيل في الكونغرس. لن يرغب أعضاء الكونغرس في تعريض أنفسهم لذلك السجل هو سجل لما يريد أعضاء الكونغرس أن يظن الناس أنهم قالوه.

فحص طاقم برنامج 20/20 آلاف من صفحات السجل واكتشفوا أمثلة فاضحة عما دعاه أحدهم حبراً مهدوراً. ففي إحدى نشرات سجل الكونغرس كُتب أن عضواً من أعضاء الكونغرس هب واقفاً أمام زملائه ودعا ممثلة المسلسلات التلفازية الشائعة كيلي مينيغان menighin «امرأة موهوبة وذكية» وكتب في السجل أيضاً أن عضواً من أعضاء الكونغرس أطرى على مغني الروك تيدنوجنت Nugent بكونه «ماهراً في استخدام القوس والسهم لمهارته في العزف على الغيتار».

وأطرت عضوة في الكونغرس على فرقة موسيقية لمدرسة ثانوية استخدمت آلات موسيقية صنعت من القمامة. كان هناك أيضاً تقدير لأشهر محبي الديك الرومي وتقدير لهواة مراقبة الطيور في معسكر تشيريكاهوا Chiricahua ولمربي النحل وغلاتهم ولعازفة طبلة في الثامنة والسبعين من العمر: كتب في السجل أن عضواً من أعضاء الكونغرس قال «السيد رئيس اللجنة، أطلب إلى زملائي الانضمام إلي بتحية دوت هيل الأسطورة ليس فقط في بلدتها بل في العالم كله».

لم تذكر في الواقع أي من تلك المقولات الإطراءات على أرض الكونغرس ولكنها طبعت وستخلد في التاريخ إلى جانب ما تم ذكره فعلاً. كيف جرى ذلك؟ لأن السجل

الرسمي مزيف. ينص القانون على أن سجل الكونغرس يجب أن يكون «تقريراً حرفياً غنياً» أخذ الكونغرس من ذلك كله «غنياً» ولكن لم أضافوا تلك المقولات؟

حسناً افترض أنني عضو كونغرس متلهف لإعادة انتخابي. أريد أن أُبهر الناخبين ما الذي يبهرهم أكثر من ذكر مديح للشعب في سجل الكونغرس؟

إن هذا الإطراء الذي يدغدغ الغرور هو بمثابة القيام بأعمال خيرية في بلدتي.

بالطبع سأشعر بالإحراج لو وقفت فعلاً أمام زملائي وأطريت أشهر محبي لحم الديك الرومي ـ لا أحد لديه الوقت لذلك ـ إذاً سأجعل من يكتبون السجل يدونون أنني قلت ذلك. أستطيع أن أستخدم عبارات مثل «سيدي رئيس الجلسة. أقف أمامك اليوم» هذه العبارات تبدو مقنعة كما لو أنني قلتها فعلاً أمام زملائي. إضافة مقولات مثل هذه تكلف دافعي الضرائب ملايين الدولارات ولكن ماذا في ذلك؟ إنها لن تكلفني شيئاً.

لقد ذهبنا إلى بعض الناخبين الذين قدم لهم الثناء في السجل. لقد ظن ديريك فوت الشاب في ميسيسيبي أن عضو الكونغرس في ولايته مايك إيبسي وقف فعلاً أمام الجميع ليثني على مهارته في الكاراتيه. قال ديريك «لقد فكرت أن ذلك أمر رائع» لكن والد ديريك كان يعلم أكثر منه لكنه مع ذلك كان مسروراً إذ قال لنا: «إن كانوا سيهدرون النقود فأفضل أن يهدروها على ابني».

الهدر يقدر بـ 675$ للصفحة. لاحظ عضو الكونغرس كولين بيترسون من مينسوتا «كأن الكونغرس لا يستطيع التوقف عن هدر النقود على أي شيء».

نعم لا يستطيع.

لا يستطيع أعضاء الكونغرس إضافة «التطويلات» إلى السجل وحسب بل يستطيعون تغيير أية كلمات قالوها ولم تعجبهم. أحد التغيرات المشهورة عندما غضب النائب جيرالد سولمون على النائبة لويز سلاتر وقال:

جيرالد سولمون نيويورك: ماذا قلت؟ أتحاولين إخراسي. يجدر بك ألا تفعلي ذلك يا سيدتي... من تظنين نفسك؟

لكن ذلك لم يكتب في سجل الكونغرس بل غير سولمون وموظفوه ذلك التعليق إلى هذا الشكل:

جيرالد سولمون نيويورك: أقول إلى السيدة اللطيفة التي أكن لها فائق الاحترام...

سيخلد التاريخ أن هذا هو ما حصل فعلاً في ذلك اليوم على أرض مجلس النواب في الولايات المتحدة الأمريكية. إنها واحدة من الأكاذيب العديدة التي تطبع يومياً في نشرات مجلس الكونغرس.

عندما تفحصنا صفحات السجل وجدنا أن الشخص الأكثر كذباً من السجل كانت عضو الكونغرس من فلوريدا إيلنا روز ليتينن lethinen لقد وضعت فيه إطراءات لمطعم محلي، لفريق الكشافة من الفتيات لوكالة سيارات محلية وللفرقة الموسيقية من الأطفال الذين صنعوا آلات موسيقية من القمامة. رفضت روز ليتينن مقابلتنا فقابلنا الشخص الثاني في الكذب وهو جيمس ترافيكان من أوهايو.

ملأ النائب ترافيكان السجل بإطراءات لعلب الصابون derby وحفلة العيد السنوي للثانوية التي درس فيها ولصديق له بجمع السيارات القديمة ولمحب تنس محلي وأشياء أخرى.

كانت مواجهته في ذلك مغامرة.

النائب جميس ترافيكان (أوهايو): ماذا تفعل ياجون هنا في مبنى الكابيتول؟ ماذا تفعل لي بحق الجحيم؟ هيا سجل على الشريط أريد أن أعرف ماذا تفعل هنا...

ستوسل: أنا هنا ـ

ترافيكان: أنت تحشرني في زمرة السياسيين الأغبياء البلهاء الذين يهدرون النقود هباء، أنا لا أفعل ذلك، لكنك هنا تكلمني عن كتابة بعض الإطراءات للإنجازات التي حصلت؟

ستوسل: لكنك تهدر النقود. كتابة الإطراءات هي هدر لنقودي.

openkanal.com

ترافيكان: أنا لم أسألك ذلك. بل سألتك من الذي أرسلك إلى هنا ومن قال لك إن إطراءاتي هي هدر للنقود.

ستوسل: «أرسلني» هنا؟

ترافيكان: لأنهم كاذبون. أنا أذكر إنجازات معينة في سجل الكونغرس لا أعتذر عن ذلك بل أنا سعيد أنه يمكنني أن أذكر إنجازاتهم تلك. ما يجب أن يفعله أولئك الجبناء ـ هو أن يصدروا قراراً بإيقافي عن ذلك. جيم ترافيكان سيذكر كل إنجازات ناخبيه كما يفعل كل زملائه الآخرين في الكونغرس.

ستوسل: هل يحق لك أن تصرف بعض النقود لأن زملاءك يصرفون الكثير منها؟

ترافيكان: لا، أنا لا أقول إن ذلك هدر للنقود. أنت من يُعد ذلك هدراً لنقودنا.

ستوسل: لكن لم يجب علي أن أدفع أنا لذلك؟

ترافيكان: لأن هذا التصرف موجود في الكونغرس ويجب على الجميع المشاركة به.

يجب على الجميع المشاركة وأعضاء الكونغرس يفعلون تقريباً كل ما يشاؤون. أقول تقريباً لأنه بعد المقابلة تم القبض على ترافيكان بتهمة أنه كان يأخذ الرشاوى ويستخدم موظفي الحكومة للعمل في مزرعته لقد أدين بأخذ الرشوة وإساءة استخدام السلطة والفساد وطرد من مجلس النواب وسجن.

ولم يذكر ذلك في سجل الكونغرس.

خرافة: «أقسم أن أتولى منصبي ليس أكثر من مدة (كذا دورة).
حقيقة: «أشعر الآن أنني عظيم لذلك سأتمسك بالسلطة لأطول مدة ممكنة».

قد يقول سياسي ما أحياناً إنه سيأتي إلى واشنطن لمدة معينة فقط. إنه سيكون مختلفاً إذ لن يجعل من السياسة حرفته لكنه سيكون مواطناً منتخباً مثل إبراهام لنكولن يخدم بلاده بضعة سنوات ثم يعود إلى حياته الخاصة. قبل أن يصبح رئيساً لأمريكا خدم لنكولن دورة واحدة في الكونغرس وقال إن أكبر خطر يتهدد أمريكا يأتي من «الرغبة الجشعة في تولي المناصب لشق الطريق في الحياة دون كفاح».

نحن لا نسمع سياسيينا اليوم يعترفون بذلك. ومثال ذلك جورج نيثركت Nethercut من ولاية واشنطن. ففي عام 1994 عندما رشح نفسه مقابل المتحدث باسم المجلس التشريعي توم فولي وعد أنه سيتولى منصبه ست سنوات فقط.

وفولي كان قد خدم مدة ثلاثين سنة. نشر نثركت إعلانات ادعى فيها أن «ثلاثين سنة مدة بالغة الطول».

ساعدت تلك الإعلانات نثركت على الفوز ثم أتى إلى العاصمة واشنطن حيث يعامل أعضاء الكونغرس وأعضاء مجلس الشيوخ كالملوك. إذ يملكون مكاتب فخمة أنيقة ولديهم طاقم من الموظفين لخدمتهم وقطار مترو خاص. تدعوهم الشركات التجارية إلى أماكن ساحرة غريبة. فيشعرون أنهم أشخاص متميزون ويندمون أنهم وعدوا بالرحيل عن المنصب يوماً ما. هذا ماجرى لنثركت إذ أعلن «لقد غيرت رأيي» والدافع في ذلك ليس المعاملة الملوكية كما قال «لقد فكرت ملياً وصليت كثيراً كي أعلم ما في صالح الولاية».

بعض الأشخاص الذين تحدثنا إليهم في ولاية واشنطن لم يكونوا سعداء لانقلابه هذا.

رجل أول: أعتقد أنه يظن أننا أغبياء جداً.

رجل ثان: ما إن دخل سلب لبه ذلك الأسلوب في الحياة.

ومع ذلك أعيد انتخاب نثركت فنظام الكونغرس صارم جداً ولا يطرد من حنث بوعده. في عام 2004 بلغ معدل إعادة انتخاب الأعضاء في الكونغرس أكثر من 99 بالمئة.

عندما يتسلم السياسيون السلطة يبقون فيها حتى مماتهم ـ أو حتى يتم تجريمهم.

وعد سكوت ماك أنيس، عضو الكونغرس من ولاية كولورادو أن سيخدم فقط ثلاث دورات لكنه بعد ذلك أصبح قوياً ومقرباً من السلطة ـ أو حسب ما يقول هو قريباً من المعرفة. فقرر أنه كان «جاهلاً» عندما وعد أنه سيرحل عن منصبه «كان تصريحي ذلك مبنياً على الجهل» هذا ما قاله لناخبيه «لقد اكتشفت الآن أهمية الأقدمية».

obeikandl.com

أخرجوا الرفش للتنقيب. أمضى ماك أنيس سنوات في المجلس التشريعي في ولايته. إنه يعرف أهمية الأقدمية كلهم يعرفون ذلك. لكنهم عندما يتذوقون طعم المجد لايريدون أن يتخلوا عن مناصبهم.

فاز النائب توم تانكريدو Tancredo بفضل الدعاية التي حظي بها قسمه. إذ أرسل بريداً إلكترونياً لكل داعميه يحدد به المدة التي سيشغلها في منصبه ويشير فيه إلى خداع السياسيين في هذا المجال. كتب تاندكريدو «لقد قدمت عهداً وأنا ملتزم به.. مواطن مشرع أفضل من سياسي يدوم أبداً.. لقد كنا دائماً صريحين بعضنا مع بعض ولن أغير ذلك. أؤمن أن مساعدتكم.. حاسمة لفوزي في الانتخابات. بعد ذلك بستة عشر شهراً نشرت صحيفة روكي ماونتن نيوز Rocky Mountain News أن تانكريدو قال لناخبيه «إنه كان يتحدث مع الرب الذي أعفاه من الالتزام بقسمه».

أقسم زاك وامب نائب من تنسي أن يتولى منصبه اثنتي عشرة سنة. وعندما سألته مجلة وال ستريت Wall street journal لِمَ لَمْ يحدد مدته بست سنوات أجاب وامب «لقد زحفت على الزجاج كي أصل إلى هنا».

لذلك تبدو فكرة المواطن الذي يخدم بلده لمدة محددة محببة إذ يبدو أنه مخلص في الخدمة ولم يزحف على الزجاج كي ينتفع من المنصب مدى الحياة.

الخبر الجيد هو أنه لم تتم ترقية أي ممن حنثوا بالقسم إلى مناصب عليا وذلك على عكس من التزموا بالقسم مثل توم كوبورن (OK) جيم دوميت (SC) وجون ثون (SD) وهم الآن أعضاء في مجلس الشيوخ وكذلك مارك سانفورد (SC) وجون باداتشي (ME) وبوب ريلي (AL) وهم اليوم محافظون.

خرافة: العاملون في المناصب الحكومية مثل عليا لبقية المواطنين.
حقيقة: العاملون في المناصب الحكومية منافقون غالباً.

في عام 1992 عندما سُئل المرشح لرئاسة الجمهورية بيل كلينتون إذا ماكان جرب المخدرات أجاب: «أنا لم أخرق قط قوانين بلادي» تبين أن قوله ذلك كان واحداً من

الألاعيب اللغوية التي يتقنها المحامون. وهذا ما اتضح عندما سأله مراسل صحفي آخر بعد ذلك عما إذا كان قد خرق قوانين بلاد أخرى.

فقال: «جواب هذا السؤال أنني لم أخرق أي قانون ولاية. عندما كنت في إنكلترا جرّبت الماريجوانا مرة أو مرتين ولم أحبها ولم أستنشقها».

كانت هناك ابتسامة مصطنعة على وجهه، وكان من الواضح أن المخدرات لم تعنه كثيراً. هل تتذكرون عندما عزف ساكسفون في التلفاز؟ الأمر الذي أثار حماس المشاهدين في تلك الليلة هو الحديث في الماريجوانا: «لقد تعلمت كيف أستنشقها عن طريق عزف الساكسفون» قال كلنتون وهو يبتسم «يجب أن تنفخ ثم تستنشق» ضحك الجميع عندها وصفقوا.

يا للمتعة يتعاطى الرئيس المخدرات، وكذلك سياسيون آخرون.

آل غور: عندما كنت طالباً بضعة مرات في الجيش.
بيل برادلي عضو أسبق في مجلس الشيوخ: لقد دخنت الماريجوانا عدة مرات في حياتي لكني لم أتعاط الكوكائين أبداً.
بروس باببيت، أمين سر الداخلية الأسبق: لم يبد عندها ذلك الأمر ذو شأن.

اعترف الرئيس جورج W بوش بـ «أخطاء» في شبابه. قال أبوه عندما سئل إن كان دخن الحشيش «لا لكنني لا أستطيع الجزم بالنسبة لأولادي» يبدو أن لا أحد يأخذ هذا الأمر على محمل الجد. بل إنه مدعاة للهزار. لقد أشارت الإحصائية الأخيرة لتعاطي المخدرات أن أكثر من ثلاثين مليون أمريكي جربوا الكوكائين وتسعين مليوناً تعاطوا الماريجوانا على الأقل لمرة واحدة. «لا أهمية لذلك» كما قال بيل كلينتون.

ولكن إن كان الأمر قليل الأهمية فلماذا طالب هو ونائبه تشديد قوانين المخدرات وإطالة عقوبة الحبس ولماذا يقبض على 1.5 مليون أمريكي كل سنة بتهم تتعلق بالمخدرات؟ وأكبر نسبة من الأشخاص المعتقلين اتهموا بحيازة الماريجوانا. عدد الأشخاص المعتقلين بتهمة تعاطي الماريجوانا أكبر من مجموع الأشخاص المعتقلين بتهم الاغتصاب والسرقة والقتل معاً. ثمان من كل عشرة اعتقالات تتم بسبب الحيازة

openkandil.com

على الماريجوانا فقط. وهو ما يعترف السياسيون بفعله. هاها نحن ندخن الحشيش ونهزّر في الأمر ولكن إن قمتم أنتم بذلك سيقبض عليهم. ياللنفاق.

ويتجلى النفاق أيضاً عندما يمسك بأحد أقرباء أو أصدقاء السياسيين .

أدين ابن دوك كانينغهام (نائب في كاليفورنيا) لحيازة أربع مئة باوند من الماريجوانا ونقلت صحيفة Mother Jones مازر جونس أنه أثناء المحكمة بكي عضو الكونغرس وتوسل طالباً الرحمة وشارحاً أن ابنه «طيب القلب ومجدّ» كان هذا هو عضو الكونغرس نفسه الذي كان يدين «المتساهلين من القضاة الليبراليين» ويثور ضد «تخفيف عقوبة المتاجرة بالمخدرات» ـ خففت العقوبة على ابنه ونال الرحمة التي حُرم منها الآخرون. حكم على ابن كانينغهام بالسجن ثلاثين شهراً ـ وهي نصف المدة الإجبارية من العقوبة المخففة. ومن السخرية أن عضو الكونغرس كانينغهام نفسه اعترف فيما بعد بأخذ 2.5 مليون دولار من الرشاوى شملت سيارة رولزرويس ويختاً. لقد استقال من الكونغرس ولعله قابع في السجن وأنتم تقرؤون الآن ذلك.

كذلك كانت حال المرشح للرئاسة جون ماك كين (نائب في أريزونا) في عام 2008 وهو الذي يدافع دائماً على تشديد قوانين المخدرات ولكن عندما اعترفت زوجته سيندي بسرقة البيركوسيت والفيكودين من جمعية خيرية، لم تُدَن. يدرج البيركوسيت والفيكودين في اللائحة II من المخدرات وفي نفس اللائحة التي يصنف فيها الأفيون. كل حبة مسروقة يُعاقب عليها بالسجن لسنة كاملة وبغرامة مالية لكن السيدة ماك كين ذهبت إلى برنامج قبل المحكمة وتمكنت من التملص ولم تدخل تلك الجنحة في سجلها.

ينافق السياسيون في شتى وجوه حياتهم الخاصة. يتحدث بيل كلينتون وزوجته هيلاري عن أهمية التعليم الحكومي ويعارضان كفلاء المدارس الذين يجعلون الفقراء يهربون من المدارس الحكومية. ولكن عندما انتقلت عائلة كلينتون إلى واشنطن سجلوا ابنتهم تشلسي في مدرسة خاصة فاخرة تدعى سيدول فريندز Sid Will Friends ويبلغ قسطها 24.000$.

وجدت مؤسسة الميراث Heritage Foundation أن تقريباً نصف أعضاء الكونغرس الذين لديهم أولاد يرسلوهم إلى مدارس خاصة في مرحلة ما في تعليمهم. ولم يرغب بالتحدث إلينا عن ذلك سوى عضو الكونغرس جيسي جاكسون لقد أرسله أبوه ريفرندجيسي إلى أفضل المدارس الخاصة والحكومية بحسب المنطقة التي سكنوا فيها. لقد أمضى الثانوية في مدرسة سانت آلبانز المخصصة للنخبة، وحيث أرسل أيضاً آل غور النائب الأسبق للرئيس ابنه، واليوم يبلغ قسط تلك المدرسة أكثر من 24.000 دولار ومع أن جاكسون تمتع بفوائد التعليم الخاص فإنه منع إعطاء الأهالي كفلاء ذلك الأمر الذي سيؤدي إلى إعطاء الفقراء ما ناله هو من فوائد التعليم.

النائب جيمس جاكسون: عندما ذهبت إلى المدرسة الثانوية لم يكن متاحاً لأهلي استخدام كفيل.

ستوسل: لكن أهلك كانوا يستطيعون تحمل نفقات المدارس الخاصة. الكثير من الناس لا يستطيعون؟

جاكسون: بالطبع الكثير من الأمريكيين لا يستطيعون.

ستوسل: إذاً دعهم ينالون ما نلته أنت من التعليم.

جاكسون: لا أحد يمنعهم عن ذلك اليوم. إنهم يختارون لأنفسهم.

ستوسل: الأهل الذين لا يملكون النقود عالقون، عالقون في سجن من...

جاكسون: أنا لا أدعوه سجناً إنه ليس أفضل نظام تعليم متوفر

ستوسل: لديك أولاد. إلى أين سترسلهم؟

جاكسون: إلى مزيج من مدارس حكومية خاصة دينية ودنيوية. أريدهم أن يحصلوا على أفضل تعليم أستطيع أن أقدمه إليهم.

بالطبع يريد ذلك. وبعد المقابلة علمنا أنه سجل ابنته في مدرسة خاصة.

أليس لطيفاً أن يملك الجميع ذلك الخيار؟ لكنهم لا يملكونه لأن السياسيين المنافقين يتملقون اتحادات الأساتذة . لا كفلاء لكم ولهم مدرسة سانت ألبانز.

خرافة: «أنا من الحكومة وأنا هنا لأحميكم».

حقيقة: النجدة.

أحياناً يتسبب ازدراء السياسيين لخيارات السوق إصدارهم مراسيم بالغة السخف. ومثال جيد على ذلك عندما حاولت لجنة فرص العمل المتساوية EEOC تحقيق «المساواة» بين عدد الرجال والنساء العاملين في مطاعم هوترز. إن لجنة فرص العمل المتساوية EEOC هي هيئة أنشأها الكونغرس عام 1964 لتعزيز قانون الحقوق المدنية. ويقضي ذلك القانون بمنع التفرقة في أماكن اللهو والتسلية العامة. هوترز هي سلسلة مطاعم تشتهر باجتذاب الزبائن الرجال عن طريق توظيف نساء نادلات بأجسام مغرية وثياب تبرز مفاتنهن.

لقد توسعت شركة المطاعم تلك حتى أنها اليوم توظف 30.000 شخص. يعتبر الكثير من الناس أن هذه المطاعم ناجحة لكن حكومتنا لا تعتبرها كذلك. وهذا ليس لأن هوترز تستخدم الإثارة الجنسية لتبيع بل لأن النساء النادلات هن جميعاً.. نساء يا للهول جميع نادلات هوترز نساء! صرخت لجنة الفرص المتساوية «إنها تفرقة!».

كانت التفرقة العنصرية هي السبب الذي دعا الكونغرس إلى إحداث لجنة فرص العمل المتساوية EEOC وعلى مدى السنين وجدت هذه الهيئة لائحة طويلة من الأماكن التي تحتاج إلى ضبط. والآن وجدت أن مطاعم هوترز تخرق قوانين المساواة لأنها لا توظف عدداً كافياً من الرجال.

قالت الحكومة إن عمل هوترز هو تقديم الطعام و «لا توجد سمات جسدية خاصة فقط بالنساء يتطلبها تقديم الطعام والشراب إلى الزبائن في المطعم». طالب محامو لجنة فرص العمل المتساوية من مطاعم هوترز تقديم بيانات التوظيف لديهم ولاحقوهم لأربع سنوات. تكلفت شركة مطاعم هوترز مايقرب مئات آلاف الدولارات للغرامات القانونية وحدها. قال لنا نائب رئيس مطاعم هوترز مايك ماك نيل إن موظفي لجنة فرص العمل المتساوية طلبوا مراجعة الكثير من الأوراق مثل «كتيبات الموظفين، كتيبات التدريب، كتيبات التسويق ـ كل شيء له علاقة بكيفية إدارة شركتنا..».

ثم أصدرت اللجنة لائحة من المطالب. وأول مافعلته هو اختلاق و «تحديد» زمرة من الرجال الخائبين الذين لم توظفهم شركة مطاعم هوترز (بالطبع هؤلاء الرجال لم يرسلوا طلبات توظيف ـ لكن تحديد أمور لا وجود لها لا يصعب أبداً على الحكومة) حسب ما قاله ماك نيل فإن اللجنة أعلنت الآتي «نريدكم أن تؤسسوا ذخيرة مالية بمبلغ اثنين وعشرين مليون دولار لتلك الزمرة الافتراضية من الرجال الذين سيبتغون العمل عندكم» نريدكم أن تقوموا بدراسات حول تدريب الحساسية لتعليم كل موظفيكم كيف يكونون حساسين لفهم حاجات الرجال.

قررت شركة مطاعم هوترز المقاومة وشنت حربها بذكاء ليس في المحكمة وإنما في محكمة الرأي العام.

تظاهرت نادلات هوترز في واشنطن مناديات «احموا وظائفنا» ولبس أحد مديري هوترز ثياب نادلة وطلب إلى الكاميرات تصويره وهو في لحيته مثال عما سيبدو «نادل هوترز» عليه. كان الأمر ممتعاً للمشاهدة ونجحت الخطة. رضي محامو «زمرة الرجال طالبي العمل» بتسوية خارج المحكمة بلغت 3.75 مليون دولاراً. كان المبلغ كبيراً لكنه أقل بكثير من مبلغ اثنين وعشرين مليون دولار الذي طالبوا فيه سابقاً. تنازلت لجنة فرص العمل المتساوية عن مطالبها في تدريب الحساسية. ورضيت شركة هوترز بتوفير عدد أكبر من الوظائف لقيادة الباص مثلاً. أو في الإدارة. وظائف لا تحتاج أن تقوم بها امرأة.

هل تسببت شعبية هوترز ومبالغات اللجنة (انظر الفصل2 هو وهي) في إحراج الحكومة كي تتلص من عمل تلك اللجنة؟ بالطبع لا. اليوم يبلغ عدد موظفي لجنة فرص العمل المتساوية 2.400 وصرفت 326.8 مليون دولار عام 2005 أي أكثر بملايين من العام السابق.

خرافة: العاملون في حماية البيئة علماء نزيهون.
حقيقة: العديد منهم ناشطون متطرفون.

openkandil.com

أنا أريد أن تحمى الأجناس المهددة بالانقراض. وأعتقد أنكم تريدون الشيء نفسه فمن الذي لا يريد ذلك؟ لكن قبل عدة سنوات قال لي أصحاب المزارع إن هيئات حماية البيئة الحكومية أصبحت تسيطر عليها مجموعات متطرفة (متعصبون للبيئة) وهم شديدو العداء ويكرهون فكرة الملكية الخاصة بشدة فيستخدمون موضوع الأجناس المهددة بالانقراض كي يدفعوا أصحاب المزارع إلى التخلي عن أراضيهم.

ظننت أنهم كانوا يبالغون إلا أن عرفت قصة وشق كندا. الأوشاق حيوانات محببة، ذات فرو تشبه القطط المنزلية ولكن بحجم أكبر. تعيش عشرات الألوف منها في شمال أمريكا. لم يعلم العاملون في البيئة ما إذا كانت تلك الحيوانات تعيش في غيفورد بينشوت وفي غابات ويناتشي فقاموا بتمويل مليون لإجراء دراسة ومعرفة ذلك.

هذا قد يسبب الخوف للأشخاص الذين يعيشون ويعملون في تلك المناطق لأن وجود أجناس مهددة بالانقراض سيؤدي إلى زيادة المراقبة مما يدفع الأشخاص إلى الهرب من تلك المناطق. استخدم قانون حماية الأجناس المهددة بالانقراض لمنع التحطيب، ومنع التصرف بالمياه وإيقاف عدد كبير من مشاريع البناء والتطوير. قد تكون يافطة «منطقة مغلقة» نتيجة لاكتشاف وجود أجناس مهددة بالانقراض. اكتشاف وجود أجناس مهددة بالانقراض يُذعر المزارعين وأصحاب الأراضي الذين يعيشون من مزارعهم وأراضيهم.

قال لنا محامو حقوق الملكية مايك بولسون: «نحن نقول لهم إذا وجدت حيوانات مهددة بالانقراض في منطقتكم فسنأخذ منكم معيشتكم وسندمر مجتمعاتكم وسنجعل بقاء عائلاتكم صعباً». في كولتون، كاليفورنيا سبب اكتشاف وجود الذبابة المحبة للورود Dehli Sands وهي مهددة بالانقراض سبب اكتشافها إجبار مقاطعة سان برنار دينو على تغيير موقع مركزهم الطبي الجديد ـ كلف ذلك ثلاثة ملايين دولار ـ وذلك لتجنب إزعاج «عادات الذبابة». هناك عشرات من الأمثلة الأخرى على جنون حماية الأجناس المنقرضة ولكن لذكرها جميعاً سأحتاج إلى كتاب آخر. لإجراء الدراسة في ولاية واشنطن لتحري وجود الأوشاق علّق علماء البيولوجيا الحكوميون على الأشجار أجزاء من سجادة نُقعت في مزيج من النعنع البري آملين أن يحكّ الوشق

نفسه فيها فتعلق عليها الأوبار ـ وهي دليل على وجود الأوشاق في منطقة الغابات هذه. وبعد مدة عندما أرسل علماء البيولوجيا تلك النماذج إلى المخبر كانت النتيجة إيجابية بوجود شعر من وشق كندا.

هل كان ذلك دليلاً على أن الوشق الكندي المهدد بالانقراض كان قد انتقل إلى تلك المنطقة من واشنطن؟ في الواقع لا فلقد تبين أن علماء البيولوجيا أولئك زوّروا الاختبار. لقد ذهبوا إلى حديقة حيوان قريبة فيها عدد من أوشاق كندا وأخذوا عينات من شعرها وبعثوا بهذا الشعر إلى المختبر للفحص. لقد اعترف علماء البيولوجيا بذلك عندما شاهدهم موظف من هيئة الأسماك والحياة البرية. وكان متقاعداً فلم يخش غضب زملائه فشكاهم.

لم يفاجأ جين بيرز بهذا الغش وكان قد عمل عامل بيولوجيا في هيئة الأسماك والحياة البرية لثلاثين عاماً. لقد قال لي إنه شهد تلك الهيئة تتغير من هيئة تدعو إلى العلم إلى هيئة تدفع نحو التطرف والمبالغة في حماية البيئة. وقال إن علماء البيولوجيا في هيئة الأسماك والحياة البرية يشنّون حملة لطرد الأشخاص من مناطق الغابات.

جين بيرز: الهيآت اليوم مجهزة بموظفين من الناشطين المتطرفين لحماية البيئة.

ستوسل: أيسيطر المتطرفون على هيئة حكومية؟

جين بيرز: هذا صحيح.

ستوسل: ألا يريدون الأشخاص «الذين يعيشون في مناطق الغابات؟».

جين بيرز: لا. هذا صحيح.

ستوسل: إحدى طرق إخلاء الغابات من الناس هي اكتشاف أجناس مهددة بالانقراض.

جين بيرز: ما إن تثبت أن هناك أي وشق في المنطقة وأن هناك بضعة أوشاق هنا أو هناك حتى يغدو من الضروري منع تعمير الطرقات ومنع ممرات التزلج على الثلج ومنع رعي المواشي. وبالتالي منعنا جميعاً من القيادة في هذه المناطق للنزهة.

obeikandi.com

عندما أمسك بعلماء البيولوجيا وأيديهم في القفص قالوا إنهم لم ينووا الغش بل يريدون «التحقق» من المخبر للتثبت من قدرته على كشف وبر الوشق. وذلك عن طريق إرسال عينات «مراقبة»، وقالوا إنهم كانوا يريدون إخبار الجميع بتحقيقهم الصغير هذا ما إن تظهر النتائج. قال بيرز: «هذا مثل قولك لي إنك قبضت عليهم وهم يغادرون مصرفاً ويحملون الأموال ويقولون (أوه نحن فقط نختبر نظام الأمان هنا سنعيد المال غداً)».

لو أن علماء البيولوجيا كانوا فعلاً «يتحققون من المخبر» ببراءة لكانوا أمضوا وقتاً طويلاً في تصحيح السجل بعد تلك الواقعة. أشار تقرير من مكتب المحاسبة الحكومي إلى أنه «لم تكن هناك إجراءات يتلقى فيها علماء البيولوجيا الذين بعثوا بالعينات نتائج أولى. حتى ينبهوا المخبر لاحقاً عن إرسالهم غير المرخص».

لم يطرد أي عالم من علماء البيولوجيا أولئك. بل «تم تأديبهم». المتطرفون يحمون بعضهم بعضاً. كيف يمكن لمتطرفي حماية البيئة السيطرة على هيئة حكومية؟ حسناً تأمل في الأمر. من سيتطوع لوظيفة منخفضة الراتب مع هيئة بيروقراطية ليس لديها إلا مزية إعطاء السلطة والسيطرة على المزارعين وملاك الأراضي؟ عالم نزيه أم متحمس متعصب؟ لهذا يسيطر في الحكومة متعصبون.

خرافة: يشجع الزعماء السياسيون على دعم المصالح العامة.
حقيقة: إن الزعماء السياسيين هم على الأغلب أناس متطفلون يريدون أن يفرضوا أذواقهم علينا.

أعتقد أحياناً أن الناس الذين يعملون في المكاتب هم أكثر الناس خطراً. يريد معظم الناس أن يدبروا شؤون حياتهم بأنفسهم أو يساعدوا الناس بأن يحسنوا إليهم أو يبيعونهم أشياء ولكن الذين يريدون أن يديروا حياة الآخرين هم على غير هذه الشاكلة. ففي السعي إلى وجهة نظرهم عن عالم كامل يبررون وضع أسخف القيود على حريتنا مثل:

في بلتون من ولاية ميسوري يعتبر إلقاء كرة الثلج مخالفاً للقانون.

في نيوجرسي واوريغون يعد تزويدك الوقود بنفسك لسيارتك مخالفاً للقانون.

في إقليم كيرن من ولاية كاليفورنيا يعتبر لعب BINGO البينغو أثناء السكر غير قانوني.

في إبلينوي يعتبر مخالفاً للقانون استعمال السلاح الناري لصيد ذكور الضفادع.

في ماساشوستسى يعتبر غير قانوني محو ما كتب على علبة الحليب.

في فيرفاكس ولاية فرجينيا يعتبر خارج القانون استعمال عصي البوغو Pogo sticks في باصات المدينة.

في بالم هاربر من فلوريدا يعتبر مخالفاً للقانون أن يكون لديك عشب اصطناعي.

بعض هذه القوانين السخيفة قديم ورغم غباء هذه القوانين فإنها مازالت موجودة في كتب القانون. إن أفكار البيروقراطيين السيئة لا تزول أبداً. إنهم لا يلغون القوانين القديمة بل يشرعون فقط قوانين جديدة.

هل خططت أن تدهن شرفتك في أحد أيام العطل؟ لا تفعل ذلك في سبرنغ هيل من ولاية تنيسي. لأن مجلس المدينة يمنع أي «تغيير أو إصلاح في أي مبنى» في الأحياء السكنية أيام الآحاد ولو كنت ستقوم بالعمل بنفسك.

قال محافظ مجموعة صغيرة في فريندشيب هايس في ميريلاند إنه كان عليه أن يحمي مواطنيه من تدخين السجائر. فجعل بلدته تشرع أقسى قانون ضد التدخين في أمريكا. ومنع تدخين السجائر لا في المطاعم والبارات والمكاتب وحسب بل أيضاً في الهواء الطلق.

المحافظ هو دكتور ولابد أنه أن يعرف الدراسات التي تشير إلى أن دخان سجائر الآخرين مؤذٍ وهي من أضعف الدراسات.

هذه الدراسات التي اقترحت وجود خطورة قليلة من دخان سجائر الآخرين قام بها أشخاص كانوا يعيشون مع المدخنين يستنشقون رائحة سجائرهم في البيت وفي

obeikandl.com

السيارات. إن فكرة أن دخان السجائر في الهواء الطلق يسبب أذىً جسيماً للصحة هي فكرة سخيفة. ولا شك أن رائحة الدخان مزعجة مثل أشياء أخرى كثيرة.

لكن المحافظ كان متحمساً متعصباً ومنع التدخين في كل أرجاء المدينة التي تشمل الممرات الجانبية والشوارع والحدائق.

ستوسل: أنت واحد من أولئك السياسيين المتطفلين الذين يريدون أن يعلموا الناس كيف يعيشون حياتهم.

الفردمولر: حسناً لقد تم انتخابنا لندعم المصلحة العامة وهذا جزء من المصلحة العامة.

بدا المحافظ صادقاً وشعر مواطنو فرنشيب هاير أنه يحميهم بقلق. ومع ذلك وبعد مدة قليلة من إجراء تلك المقابلة تم القبض عليه لأنه لامس الأعضاء التناسلية لصبي في الرابعة عشرة من العمر في حمام في كاتدرائية واشنطن الوطنية. ووضع تحت المراقبة وأبطل مجلس القرية قانونه. الآن نعلم ما يتطلبه إبطال القانون.

الأشخاص الذين يملأهم شغف هائل بتحديد تصرفات الآخرين هم الأشخاص الذين يجب أن نتوخى الحذر منهم. ولكن للأسف مازالوا يتقلدون المناصب. والأمر الحسن أنهم لا يستطيعون السيطرة على معظم أمور حياتنا.

خرافة: يحكم الرئيس والكونغرس أمريكا.
حقيقة: الشعب هو الذي يحكم أمريكا.

يتحدث السياسيون ووسائل الإعلام حول موضوع «من يحكم البلاد؟» يا للغرور!

سيناتور جون درو: [في قناة CNN] «يجب علينا أن نتذكر أنه علينا أن نحكم هذه البلاد في السنوات الأربع القادمة...» (26-11-2000).

فلاڤيا كولغان: [في قناة MSNBC] «بمثل عجز بوش رئيساً في حكم البلاد الآن (28-10-2005).

رالف نادر: [برنامج شارلي روز] «إنهم يعرفون من يحكم البلاد» (13-8-2005).

كريس ماتيوز: [هاردبول] «الحشد الحالي يحكم البلاد الآن...» (2-11-2005)

ستيف كرموفت: [برنامج ستين دقيقة] «هل تعتقد أن الرئيس بوش سيأتي؟»

جون ستوارت: «إنه مشغول بحكم البلاد» (24-10-2004)

أخرج الرفش للتنقيب.

أيعتقد هؤلاء السياسيون والحكام أن الحكومة بالغة الأهمية فإذا غاب السياسيون ستتوقف حياة أمريكا؟ هذا هراء. لا يحكم السياسيون هذا البلد. أمريكا ليست سيارة ستتحطم إن لم يقدها رئيس. يحكم أمريكا ملايين الأشخاص الأحرار الذين يسلون أنفسهم ويبنون صروحاً مدهشة وينشرون ألوف الاختراعات الجديدة الرائعة.

نعم تخلق الحكومة الجيدة شروطاً ملائمة للإبداع وتجعل الحكومة السيئة الحياة أسوأ، لكن لحسن الحظ، العملاق المعقد والناشط وهو الولايات المتحدة يحكم نفسه بنفسه. وكما أشار توماس بين ببلاغة في كتابه حقوق الإنسان The Rights of Man «تؤدي المجتمعات بأنفسها كل الأعمال التي تنسب إلى الحكومة».

لا تبدع الحكومة مسرحيات موسيقية أو تهندس بنايات شامخة أو تكتشف أدوية معجزة لاتبني الحكومة سياراتنا أو تمد أمريكا بالأنواع المذهلة من الطعام والبيوت والألبسة. والحمد لله أن معظم ما في الحياة وأجمل ما في الحياة يحدث بشكل مستقل عن أي سياسي مسؤول.

obeikandl.com